

وبالمثل فان اغنية « يا اهويدلي » يتكون البيت الواحد منها من بيتين من الشعر تتفق الشطرات الثلاث الاولى منهما في القافية بينما تنتهي الشطرة الرابعة والاخيرة بالمقطع « لي » الذي هو كما في الاغنية السابقة ترديد للمقطع ذاته كما يظهر في مطلع هذه الاغنية .

وعندما ناتي لاغنية السحجة المشهورة التي تغنى دائما غناء جماعيا يتداوله فريقان كبيران نجد اننا نقف في الواقع امام قصيدة طويلة كل بيت من ابياتها يقوم كوحدة مستقلة في حد ذاتها ، وليس ثمة ادنى دلالة على أي جهد لربط ابياتها بعضها ببعض فكل منها مستقل تماما في معناه وفي قافيته ، والخيط الدقيق الوحيد الذي يبدو أنه يربط بين ابياتها هو البحر فقط . ونظام القوافي في أبيات السحجة نظام بسيط ويتمثل في أن شطرتي البيت الواحد تتفقان دائما في القافية فيما عدا حالة أو اثنتين فيما جمعه من نصوصها في هذه الاطروحة . ولعل هذه الرابطة الفنية هي أقصى ما يمكن التسامح معه في اغنية كالسحجة بالاضافة الى البحر فالجماعة الكبيرة التي تقوم بالغناء لا يمكنها ان تقف وتتأمل وتفكر في السير على نمط معقد من القوافي ، ولذلك فان هذه الاغنية نادرا ما تسمح بالتجديد ولهذا فانها تعيش على ابياتها المعروفة التي تنتقل مشافة من جيل الى جيل دون أن تضاف اليها ابيات جديدة مما يزيد في قيمتها نظرا لاحتفاظها بأقدم ميزات التي نجدها منعكسة في بعض مفرداتها القديمة قدما جعلها تستقط من الاستعمال خارج اطار هذه الاغنية ، والتي احتفظت الاغنية بها بالرغم من العملية المستمرة لتهديب المفردات وتحديثها في السحجة وفي غيرها من الاغاني الشعبية . وخير مثال على ذلك هو استعمال كلمة « غداف » (١) للدلالة على الشعر الاسود الطويل . وتجلى هذه الظاهرة في السحجة أيضا فيما تستعمله من اشارات قديمة فقدت مغزاها حتى بالنسبة للمغنين انفسهم وهي غالبا ما تكون بقايا آثار تاريخية لمعارك ماضية أو لحروب قبلية (٢) .

ويتميز الزجل الى حد ما بالطابع الفردي وبالسير على نمط القصائد الفصحى في مراعاة الالتزام بقافية واحدة في الاغنية كلها ،

١ - غداف : في الفصحى تعني الغراب الاسود .

٢ - انظر الارقام ١٦ ، ص ١٨٤ و ١٠٨ - ١٠٩ ، ص ١٨٧ .